شرح ألفية العراقي
المسماة
بالتبصرة والتذكرة

تصدير

بقلم خديم العلم والعلماء
﴿ محمد بن الحسين العراقي الحسيني ﴾
مدرس بكلية القرويين
وأمين خزانتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث سراجاً ونوراً للقلوب في القديم والحديث وتكفل بحفظه حيث أسكنه اعماق الصدور فتسلسل سنده على ممر الدهور والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالهدى الصحيح الذي يستوى فيه العالي والنازل ويأوى اليه المنقطع والمتصل وعلى آله المطهرين من وصمة الاعلال وأصحابه الذين بذلوا مجهوداتهم لحفظ كيان الدين من الابطال صلاة وسلاماً دائمين ما تزينت الطروس بسطور مدائح ذوي المفاخر وتعطرت المجالس بنشر أفخر المآثر أما بعد ففي كل حي بنو سعد لما كان الاسناد من الدين وبه يكمل اليقين وكان قد ندب الى الاشراف على طبع شرحي الالفية الاصطلاحية الاول لناظمها الحافظ العراقي والثاني (**فتح الباقي على الفية العراقي**) لشيخ الاسلام زكرياء الانصاري بدا لي ان أضع تعليقاً وجيزاً على اعلام الثاني المذكورين فيه سواء باعتبار الاسانيد أو باعتبار ذكرهم للنقل عنهم أو الرد عليهم أو الاستشهاد باقوالهم اداء لحق معرفة شخصيات العلماء الذين قاموا باعباء حفظ الديانة وتجرعوا غصص العناء لذلك فنالوا ارفع مكانة وتنشيطاً لذوي الذكاء والمعرفة الذين يريدون اتقان فن اصطلاح الحديث ويسعون اليه السعي الحثيث ليحرزوا على ملكة تمييز الطيب من الخبيث وليسد فراغاً عظيماً في التنقيب عن تراجم الرجال المحتاج الى مادة عريضة المجال وطول الآجال فدونك زهاء الف ترجمة مختصرة أي اختصار مشتملة على ذكر ما يحتاج اليه في ترجمة كل شخص متوخياً كثيراً عبارة المترجمين من بينهم نحو الستمائة راو مختلفة الاقطار والباقي ما بين مشرقي ومغربي وأندلسي ومصري وبصري وخراساني . . . . ومنهم السني والمعتزلي ومنهم الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي ومنهم الملوك وغيرهم تراجم كانت مشتتة شذر مذر فجمعتها من عدة كتب يأتي تفصيلها في فهرس المراجع وقد تكبدت لذلك مشاق ومزيد عناء واني وان كنت لم أبلغ اشدي ولا ثبت عند صيارفة العسجد رشدي في هذا

الفن فقد ادليت بدلوي بين الدلاء وتشبهت بالكرام ممتطياً سوابق العزم والاتكال على الله تبارك وتعالى في الحل والعقد ولم اكن بدعاً في عملي ولا اول مبتكر لهاته الفكرة بل سبقني الى ذلك غير واحد من الايمة المعتد بامامتهم منهم الامام محي الدين يحيى بن شرف النووي حيث عرف باعلام شرح الوجيز ولغته في كتاب سماه تهذيب الاسماء واللغات وقد قال في مقدمته وأضم الى اللغات ما في هذه الكتب من اسماء الرجال والنساء والملائكة والجن وغيرهم ممن له ذكر في هذه الكتب برواية أو غيرها مسلماً كان أو كافراً براً كان أو فاجراً هـ بيد انه جعل كتابه مستقلاً كقاموس لاعلام الوجيز وغيره مما ذكره ورتبت تراجم اعلام شرح شيخ الاسلام زكرياء الانصاري على حسب ذكرهم في الشرح المذكور فكلما ذكر شخصاً أتيت بتعريفه ازاءه فاذا كرره استغنيت بالترجمة الاولى ووضعت لهذه الاعلام فهارس مرتبة على الحروف الهجائية تسهيلاً لمراجعتها على الطالب وحيث ان جلها اعلام للرواة والمحدثين فقد جعلتها على طريقة المحدثين منقسمة الى أعلام وكنى والقاب وابناء وانساب ونساء وقد اشتبه علي الحال في تراجم يسيرة لا تبلغ عدد الانامل تركتها حتى اذا وقفت على ما فيها نشرتها ولا يظن الانسان ان هذا الامر بسيط وارجو ممن وقف على غلط ان ينبه عليه فجل من لا يغلط .

وقد بذلت المجهود في التصحيح ومع ذلك لا يخلو الكتاب من أغلاط مطبعية يمكن اصلاحها بالبديهة فلذلك لم أنبه عليها وما قصدي فيما فعلت الا التنشيط والله من ورائهم محيط اذ تحصيل الاسانيد العالية والنازلة والمخدوش فيها مدعاة لتشرئب الاعناق نحو علم الاسناد وحفظ الاسانيد بتراجمها اذ الملكة لا تحصل الا شيئاً فشيئاً فالله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لما يحبه ويرضاه .

ولنبدأ الآن بوضع مقدمة مشتملة على تاريخ اصطلاح الحديث من نشأته وترجمة الحافظ العراقي والشيخ زكرياء الانصاري والفية العراقي والاصول المطبوع عليها عسى ان يصادف ذلك قبولاً عند ذوي النباهة والعلم اذ الاتيان

بامر تستحسنه جميع الطباع هو من شأن خالق القوى والقدر وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تاريخ الاصطلاح

نشأ علم الحديث تبياناً لكتاب الله فكان مهد طفوليته صدور الصحابة رضوان الله عليهم فكانوا لسيلان اذهانهم وسعة حفظهم واستضاءة بصائرهم بانوار النبوءة يفهمون مغازيه ومراميه ولا يبحثون في سنده حيث تنبجس أشعته من مشكاة النبوءة الى اعماق قلوبهم فلا يجد الاحتمال مجالاً وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلمة لتفهم عنه وليعيها من لم يحفظها ولم يكن لدى الصدر الاول كتاب سوى كتاب الله تعالى كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه والله ما عندنا كتاب نقرؤه الا كتاب الله أو ما في هذه الصحيفة أو فهم أوتيه رجل مسلم .

ولما كان القرآن ينزل منجماً بحسب الوقائع وما تقتضيه الظروف الحالية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث كما رواه مسلم في صحيحه في باب الزهد عن أبي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار قال الامام النووي على الحديث المذكور ما نصه قال القاضي كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرهها كثير منهم وأجازها اكثرهم ثم اجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي فقيل هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة اذا كتب وتحمل الاحاديث الواردة بالاباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث اكتبوا لابي شاة وحديث صحيفة علي رضي الله عنه وحديث كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديات وحديث كتاب الصدقة ونصب الزكاة الذي بعث به

أبو بكر رضي الله عنه أنساً رضي الله عنه حين وجهه الى البحرين وحديث ابي هريرة ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب ولا اكتب وغير ذلك من الاحاديث وقيل ان حديث النهي منسوخ بهذه الاحاديث وكأن النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك أذن في الكتابة وقيل انما نهى عن كتابة الحديث في صحيفة واحدة لئلا يختلط ويشتبه على القارىء والله أعلم هـ ومثله للعلامة الابي فحيث وجد للحديث حديث آخر معارض وأمكن اعمالهما معاً فهو أحسن من ادعاء النسخ لقول السبكي ولنا ان اعمال الدليلين اولى من اعمال احدهما والغاء الآخر فالمنع لخوف الاختلاط أو لعدم الحفظ والاتكال على الكتابة أو حدوث المصلحة الراجحة توجب دوران الحكم معها حيث ما دارت سيما وانعقاد الاجماع يبينه .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن محفوظ في الصدور وابتدأ جمعه أيام خلافة سيدنا أبي بكر الصديق باشارة سيدنا عمر فجمعت الصحف عند أبي بكر وبعده عند عمر وبقيت عند بنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها الى خلافة سيدنا عثمان فطلبها منها وتم جمعه حينئذ .

أما الحديث فخطا خطى متنائية الاطراف بطريق الرواية اللفظية في مختلف البلادات والاصقاع وقد انقضى عصر الخلفاء الراشدين ولم يكتب من حديثه صلى الله عليه وسلم سوى ما كتبه عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره كما تقدمت الاشارة الى ذلك في كلام الامام النووي .

وأول من أشار بتدوين الحديث الخليفة العدل سيدنا عمر بن عبد العزيز الاموي كما أخرجه امامنا مالك في الموطأ وأبو نعيم في تاريخ اصبهان فقد كتب الى مختلف نقط حكومته آمراً اركان المملكة بكتابة الحديث وأعظم من كتب اليه الامام ابن شهاب الزهري وذلك انه لما كثر الموت في الصحابة واختلط الباقي بالمماليك التي فتحها العرب خشي ان يدس على رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرضون كما وقع فعلاً بعده فكانت هاته هي الحلقة الثانية في

نشوء علم الحديث وابتدأ عصر التدوين والجمع فاشتغل الايمة في كل قطر يكتبون ما يصل اليهم بالسند ثم اعقبه عصر التهذيب وهو وقت الامام البخاري وأمثاله وتفصيل هذا يعلم من شرحي الالفية .

ولم يكن الدور الاول والثاني والثالث في الحديث خالياً من قواعد المصطلح بل كانت قواعده تجري في البحث والتنقيب عن السند ويمكن الاستيناس بمسألة الجدة التي وقعت في وقت الخليفة الاول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي ان جدة جاءته وهي أم أم تطلب ميراثها من ولدها فقال لها سيدنا أبو بكر الصديق مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة شهدت النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال هل معك غيرك فقام محمد بن سلمة فقال مثل ما قال المغيرة فانفذه لها أبو بكر ثم جاءت جدة اخرى وهي أم الاب الى الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه فقال لها ما أعلم لك شيئاً وما أنا بزائد في الفرائض شيئاً وما كان القضاء الذي قضى به الا لغيرك ولكن هو ذلك السدس فان اجتمعتما فهو لكما وايكما خلت به فهو لها هـ فالخليفة الاول رضي الله عنه بحث في السند هل الحديث لم يسمعه الا واحداً أو سمعه جماعة فيكون مشهوراً فلما رأى الثاني امن من غلط الاول أو سهوه قال الباجي على الحديث المذكور قوله هل معك غيرك على معنى التثبت وطلب تقوية غلبة الظن لا على معنى رد حديثه لان المغيرة من فضلاء الصحابة وفقهائهم ولكنه طلب رواية غيره في ذلك ليعلم الاتفاق عليها لان ذلك ابعد من السهو والغلط هـ وذلك لان الرواية يقبل فيها الواحد بخلاف الشهادة .

ولما كانت هذه الآثار تؤخذ في مبدأ الامر من الافواه كان المتصدي للجمع والتأليف اذا روي له حديث طالب باسناده وعمن أخذ فيذكر له سنده حتى ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم ان كان من كلامه أو الى الصحابي أو التابعي ان كان من كلامهما وكان قد تسرب الى تلك الآثار اشياء من الوضع كما

ستعلم تفصيل سببه في الالفية وشرحيها احتاج المصنفون الى تدوين قانون مخصوص يتميز به الغث من السمين وجعلوا ذلك القانون قائماً على أصول أسسوها ليرجعوا اليها .

(الاصل الاول) فن التاريخ ليعلم منه تاريخ ولادة الراوي ووفاته حتى اذا قال حدثني فلان ولم يكن مدركاً لزمنه علموا انه كاذب عليه ولهذا قال سفيان الثوري لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ .

(**الاصل الثاني**) فن الجرح والتعديل كقولهم فلان ثقة فلان وضاع وقد الف الحفاظ مصنفات في الجرح والتعديل ما بين اختصار وتطويل فاول من جمع كلامه في ذلك الامام يحيي بن سعيد القطان الذي قال فيه الامام احمد ما رأت عيني مثله وتكلم في هذا العلم بعده تلامذته مثل يحيي بن معين وعلي بن المدايني والامام احمد بن حنبل وعمرو بن علي القلاس الى زمن ابي احمد بن عدي فجمع افكار من مضى وأبرز كتابه الكامل فكان كاملاً كاسمه وقد ذيله ابن طاهر المقدسي الى ان وضع الجميع في ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي .

ويلحق بهذا الاصل النظر في الاسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الاحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لان العمل انما وجب بما يغلب على الظن صدقه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهي معرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط وانما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح ويكون ذلك دليلاً لنا على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً وكذلك الاسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه ومثل هذا يعلم من الاصل الاول الذي هو التاريخ وكذلك بسلامتها من العلل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين أعلى فيقبل وأسفل فيرد ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ايمة هذا الشأن ولهم في ذلك الفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب مثل

الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنطقع كما ستقف عليه في الالفية .

(الاصل الثالث) النظر في كيفة أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون الاحاديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق أو مختلف وما يناسب ذلك واشتغلوا ايضاً بالناسخ والمنسوخ من الحديث وهو من أهم علومه واصعبها قال ابن شهاب الزهري اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وقد عنونوا ذلك كله بفن الحديث وربما افرد عنها الناسخ والمنسوخ فجعل فنا برأسه وربما أفرد الغريب ايضاً فاستقل بذاته وللناس فيه تآليف مشهورة وكذلك التاريخ الف فيه البخاري كتباً ثلاثة تضمنت طرفاً واسعاً من الجرح والتعديل .

وأول من دون مصطلح الحديث القاضي أبو محمد الرامهرمزي فانه الف كتابه المحدث الفاضل لكنه لم يستوعب الاقسام والف فيه الحاكم ابو عبد الله النيسابوري وترك كتابه خلواً من التهذيب ثم تلاه أبو نعيم الاصبهاني فعمل على كتاب الحاكم مستخرجاً وأبقى مجالاً لمن يتعقبه ممن بعده ثم جاء بعدهم الخطيب صاحب تاريخ بغداد فصنف في قواعد الرواية كتاباً سماه بالكفاية وفي آدابها كتاباً سماه بالجامع لآداب الشيخ والسامع وقل فن من فنون الحديث الا وقد صنف فيه كتاب كما يقوله العراقي في الابواب الاخيرة من شرحه على الفيته قال الحافظ ابن عساكر كل من انصف يعلم ان المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه ثم جاء ممن تأخر عن الخطيب ممن أخذ نصيباً من هذا الفن فالف فيه منهم القاضي عياض جمع منها كتاباً لطيفاً سماه الالماع وجمع أبو حفص الميانجي كتاباً سماه ما لا يسع المحدث جهله ثم كثرت المصنفات في ذلك من مطولات ومختصرات الى ان جاء الفقيه الحافظ للسنة أبو عمرو بن الصلاح وولى التدريس بمدرسة دار الحديث فجمع كتابه المشهور في مصطلح الحديث المسمى

علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح فهذب فنونه واملاه شيئاً بعد شيء في المدرسة المذكورة واعتنى بتصانيف الخطيب المتفرقة فجمع شتات مقاصدها وضم اليها من غيرها نخب فوائدها.فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره فلهذا عكف الناس عليه وخدموه أجل خدمة ثم تلاه محي الدين النووي ثم لما اشتد ساعد الحافظ العراقي في علم الحديث وكان من امره ما كان مما نذكره في ترجمته نظم كتاب علوم الحديث المذكور لابن الصلاح وزاد عليه ما انتقده عليه في كتابه الايضاح وما غفل عنه كما يتبين خلال درس الشرحين جزى الله الجميع خيراً .

ترجمة الحافظ العراقي

صاحب الالفية وشرحها

هو الامام الحافظ الحجة المحدث الكبير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن ابراهيم العراقي الكردي الرازياني المصري الشافعي الاثري اصله من العراق العربي وهو القطر الذي يحد شمالاً بالكردستان والجزيرة وشرقاً ببلاد العجم وغرباً بالصحراء وجنوباً بالخليج الفارسي والصحراء نسب اليه لاقامة أسلافه به والكردي نسبة الى كردستان بقعة في آسيا يسكنها الاكراد تقع بين الاناضول وبلاد الفرس وارمينية والجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات والرازياني نسبة الى رازيان البلدة التي كان يقيم بها والده ومنها قدم لمصر .

قدم ابوه القاهرة صغيراً فتأهل بها وسكن بمنشأة المهراني على شاطىء النيل بين مصر والقاهرة فزيد له ولد سماه عبد الرحيم باشارة بعض من كان يعتبر خدمته غنماً واشارته حكماً وذلك في الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة ٧٢٥ .

(اوليته وطلبه للعلم) لما بلغ عبد الرحيم العراقي السنة الثالثة من عمره أجاب والده داعي ربه فباء باليتم في صباه وكان كثير التردداد على صديق والده الشيخ العارف بالله تقي الدين القنائي وحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين واشتغل بعلم القراءات والعربية فاخذ ذلك عن جماعة منهم الشيخ ناصر الدين محمد بن سمعون والشيخ برهان الدين ابراهيم بن الاجير الرشيدي والشهاب احمد بن يوسف السمين والسراج عمر بن محمد الدمنهوري وانهمك في علم القراءات انهماكاً بينا فنهاه عن ذلك قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قائلاً له انه علم كثير التعب قليل الجدوى لما رأى من شعلة ذكائه وتوقد ذهنه وان اشتغاله بالعلم الذي يكثر نفعه اولى له واحسن وأشار عليه بالاشتغال بعلم الحديث واقدم سماع وجد له سنة ٧٣٧ يعني لما بلغ اثنتي عشرة سنة من عمره وفي السنة السابعة عشرة أقبل بجد واجتهاد على طلب الحديث فاخذ عن علاء الدين بن التركماني الحنفي وبه تخرج وانتفع فسمع عليه وعلى ابن شاهد الجيش صحيح البخاري وسمع على الشيخ ابن عبد الهادي صحيح مسلم واخذ عن جماعة من مشايخ مصر والقاهرة منهم محمد بن علي القطرواني ومحمد بن اسماعيل بن الملوك ومحمد بن عبد الله بن أبي البركات النعماني ومحمد بن القاسم الفارقي ومظفر العطار واحمد بن محمد الرصدي والقاضي فخر الدين بن مسكين وأبو الحرم القلانسي وأبو القاسم اليعمري أخو الحافظ أبي الفتح وجمع من أصحاب الفخر بن البخاري ونحوهم .

(حالته) كان رحمه الله صالحاً خيراً ديناً ورعاً عفيفاً صيناً متواضعاً حسن النادرة والفكاهة متجمعاً ذا اخلاق حسنة منور الشيبة جميل الصورة كثير الوقار قليل الكلام الا في محل الضرورة تاركاً لما لا يعنيه طارحاً للتكليف شديد الاحتراز في الطهارة بحيث انه يناله بسببها مشقة شديدة لا يصده عن ذلك مرض ولا غيره وكان رحمه الله شديد التواضع لا يرى لنفسه على احد فضلاً كثير الحياء ليس بينه وبين احد شحناء حليماً واسع الصدر بطيء الغضب سريع

الحلم لا يحمل لاحد ضغينة لسلامة صدره وسعة اخلاقه وتدفق الايمان من اعماق قلبه ما كان يهاب احداً اذا انتصر للحق وجادل لاعلاء القول الصدق بل كان قوالاً للحق لا يواجه أحداً بما يكره ولو آذاه وكان وافر الحرمة والمهابة منتهجاً مناهج السلف الصالح آباؤنا في الدين الذين سبقونا بالايمان وكان مواظباً على قيام الليل وصيام الايام البيض من كل شهر والست من شوال وكان اذا صلى الصبح جلس في بيته الى ان ترتفع الشمس فيصلي الضحى وبعد الصلاة يشتغل بالاسماع والاقراء والتدريس والتصنيف قد جمع الى حسن الخلق حسن الخلق .

(رحلته لطلب العلم) عناية الاقدمين كانت مصروفة اولاً لتحصيل علوم أهل بلد الانسان ثم الرحلة الاقطار تطلباً لعلو الاسناد أو سماع ما فات أهل بلده كما هو منصوص لعلماء الاصطلاح وكان الشيخ المترجم له ممن حاز قصب السبق في هذا الميدان فارتحل الى دمشق ولقي بها عدة شيوخ وسمع عليهم منهم الشيخ احمد بن عبد الرحمن المرداوي ومحمد بن اسماعيل الحمويَ ومحمد بن اسماعيل بن الخباز الذي قرأ عليه صحيح مسلم في ستة مجالس متوالية قرأ في آخر مجلس منها اكثر من ثلث الكتاب بحضور الحافظ زين الدين بن رجب ومنهم ايضاً عبد الله بن محمد بن ابراهيم المقدسي وأبو بكر بن عبد العزيز بن احمد بن رمضان ومحمد بن محمد بن عبد الغني الحراني ويحيى بن عبد الله بن مروان الفارقي وشيخ الاسلام تقي الدين السبكي والى حلب فسمع على جماعة منهم جمال الدين ابراهيم بن الشهاب وسليمان بن ابراهيم بن المطوع وعبد الله ابن محمد بن المهندس والى حماة فسمع بها جماعة منهم قاضيها عبد الرحيم بن البارزي وعبد الله بن داود بن سليمان السلمي والى حمص فسمع عمر بن احمد بن عمر النقيبي وغيره والى طرابلس فسمع جمعا منهم عثمان الاعزازي وصدر الدين بن محمد بن أبي بكر بن عباس الخابوري والى صفد فاخذ عن عمر بن حمزة بن يونس وست الفقهاء بنت احمد بن محمد العباسي وغيرهما

والى بعلبك فسمع جماعة منهم احمد بن عبد الكريم بن أبي بكر وعبد القادر بن علي بن السبع واحمد بن علي بن الحسن بن عمرون والى نابلس فسمع من ابراهيم بن عبد الله الزيباوي ومحمد بن عثمان بن عبد الرحمن بن نعمة والى بيت المقدس فسمع من جماعة منهم طاهر بن احمد وقاسم بن سليمان الاذرعي والحافظ صلاح الدين العلاءي والى غزة فسمع من جماعة منهم محمد وسليمان ابنا سالم بن عبد الناصر والى الاسكندرية فسمع جماعة منهم محمد ابن محمد بن أبي الليث وابن البوري محمد بن احمد واذخر خاتمة المطاف لافضل بقاع الطواف فارتحل الى مكة المشرفة وسمع من الامام خليل حامل راية الفقه المالكي والفقيه احمد بن قاسم بن عبد الرحمن الحرازي والشهاب الحنفي والى المدينة المنورة فسمع من العفيف المصري عبد الله بن محمد وغيره ولم تتفق له الرحلة الى تونس وقد خرج لنفسه البلدانيات الاربعينية لكنه بلغ ستا وثلاثين بلدة فقط ثم رجع لبلاده فاقام مدة ثم ارتحل مرتين لطلب الحديث وفي سنة ٧٦٥ رحل باولاده الى الشام لاسماعهم الحديث وبعدها عاد لمسقط رأسه ولهذا شرعت الرحلات خصوصا للعلماء ولم يكتف الحافظ بما عنده بل كان يتطلب الزيادة حيثما سنحت له الفرص اقتداء بما امر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ .

﴿ معارفه ﴾ - لم يكن الحافظ العراقي محدثا صرفا خاليا عن كل علم سوى الحديث بل كان عالما بعلوم القراءات وكان له فيها الباع الطويل حتى نقل عن عز الدين بن جماعة نهيه عن ذلك وأمره بما مصلحته اعم وأفيد حسبما سلف وكان له حظ وافر من علم الاصول أخذه عن الشيخ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين الاسنوي وعن الشيخ شمس الدين محمد بن احمد بن اللبان وكان الاسنوي يستحسن كلامه ويصغي الى مباحثه في علم الاصول ويقول ان ذهنه لا يقبل الخطأ وكان يثني على فهمه ويمدحه بذلك في علم الاصول وكانت له معرفة جيدة بعلم الفقه بحضوره في مجلس الشيخ شمس

الدين محمد بن عدلان شيخ الشافعية في زمانه وتميز في ذلك حتى وضع تعليقاً على الحاوي بعد ان حفظ جله في اثني عشر يوماً أو كله في خمسة عشر يوماً قال ابن فهد في ذيل الطبقات وكان لديه فنون من العلم منها القراءات والفقه وأصوله والنحو واللغة العربية .

(نبوغه في علم الحديث وثناء الاشياخ عليه) ولما هيأه الله تعالى للتخصص في علم الحديث اودع محبته في قلبه وسهل عليه طرقه والرحلة اليه فانهمك فيه وصرف جل اوقاته اليه حتى غلب عليه وصار مشهوراً به حتى قال في طالعة الفيته الاصطلاحية :

يقول راجي ربه المقتدر عبدالرحيم بن الحسين الاثري

بكونه يعرف بالانتساب للاثر ولا زال يخطو خطى واسعة في هذا الميدان حتى فاق فيه كل انسان وحاز قصب السبق بلا نزاع بل بفضل طول الباع وكثرة الاطلاع وكان له ذكاء مفرط وحافظة واسعة متوقدة ترتسم فيها محفوظاته بسرعة فقد حفظ في يوم واحد ٤٠٠ سطر من كتاب الالمام .

ولما أخذ الحديث عن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي ورأى من ذكائه ما أوجب له ميزة على اقرانه ذكره في درسه معظماً له منوهاً بقدره مفتخراً بأخذه عنه واصفاً له بالمعرفة والاتقان والفهم ومن تعظيمه له انه لما قدم القاهرة سنة ٧٥٦ أراد أهل الحديث السماع عليه وكان الحافظ العراقي اذ ذاك بالاسكندرية فقال لا اسمع الا بحضوره فمات السبكي قبل ان يصل ولم يحدثهم واخذ عنه الحافظ عماد الدين بن كثير وكتب عنه وهو من شيوخه وكان حافظ الوقت وحامل راية أهل الحديث اذ ذاك الشيخ صلاح الدين العلائي يفتخر به فقد نوه بذكره وعظم شأنه ووصفه بالفهم والمعرفة والاتقان والحفظ وذكره شيخه الامام الاسنوي في كتابه ووصفه بحافظ الوقت مع كونه من تلامذته كما قلناه وذلك لما تكلم على ترجمة ابن سيد الناس اليعمري وانجز به الكلام على شرح اليعمري

على الترمذي الذي ابتدأه ولم يكمله قال ولم يكمل هذا الشرح وقد شرع في اكماله حافظ الوقت زين الدين العراقي اكمالاً مناسباً لاصله وقد كان يقول ايضاً ان ذهنه لا يقبل الخطأ وكان كثير الثناء عليه وكفى فخراً للشيخ والتلميذ اعتراف الاول للثاني بمقامه في العلم فما أحسن سلامة الصدور فطوبى لهما وقال عز الدين بن جماعة في المترجم كل من يدعى الحديث في الديار المصرية سواه فهو مدع وكان يراجعه فيما يهمه ويشكل عليه خصوصاً في تخريجه لأحاديث الرافعي الكبير فكان كثير الرجوع اليه فيه مع كونه شيخه وحافظ عصره وقال الحافظ تقي الدين بن رافع وهو بمكة سنة ٧٦٣ وقد مر به الشيخ عبد الرحيم ما في القاهرة محدث الا هذا والقاضي عز الدين بن جماعة فلما بلغه وفاة القاضي عز الدين وهو بدمشق قال ما بقي الآن بالقاهرة محدث الا الشيخ زين الدين العراقي وكان الشيخ جمال الدين الاسنوي يحض الناس على الاشتغال عليه وعلى كتابة مؤلفاته وينقل عنه في مصنفاته من ذلك ما نقله في الهداية في كتاب الصداق عقب كلام له وسألت عنه صاحبنا الشيخ زين الدين العراقي حافظ العصر فهذا كلام من عاصره فيه وثناؤهم عليه ولم تكن المعاصرة فيه حجاباً واشتغل بتخريج أحاديث احياء علوم الدين وهو ابن عشرين سنة .

(**تلامذته**) انفرد الحافظ العراقي في عصره بالاملاء فقصده الناس من مختلف الانحاء للسماع عليه وللاخذ عنه فاخذ عنه الجم الغفير والعدد الكثير وكتب عنه جميع الايمة من اعلام العلماء وأفاضل الحفاظ حتى ان بعض شيوخه أخذ عنه وممن لازمه ولده قاضي القضاة أبو زرعة ولي الدين العراقي فتخرج على سنن ابيه ذكاء وحفظاً واتقاناً وكذلك الحافظ ابن حجر فقد قال في كتابه انباء الغمر لازمت شيخنا (يعني العراقي) عشر سنين تخلل في اثنائها رحلاتي الى الشام وغيرها وقرأت عليه كثيراً من المسانيد والاجزاء وبحثت عليه شرحه على منظومته وغير ذلك وشهد لي بالحفظ في مواطن وكتب لي خطة بذلك مراراً وسئل عند موته من بقي بعده من الحفاظ فبدأ بي وثنى بولده وثلث بالشيخ نور الدين

الهيثمي الذي قال في خطبة كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بعد ان ذكر ما جمعه : فقال لي سيدي وشيخي العلامة شيخ الحفاظ بالمشرق والمغرب ومفيد الكبار ومن دونهم الشيخ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه اجمع هذه التصانيف واحذف اسانيدها لكي يجتمع احاديث كل باب منها في باب واحد من هذا فلما رأيت اشارته الي بذلك صرفت همتي اليه الى ان قال وقد سميته بتسمية سيدي وشيخي له الخ قال في شذرات الذهب وصحب الهيثمي الشيخ زين العراقي وهو صغير فسمع معه من ابتداء طلبه على ابي الفتح الميدومي ورحل معه جميع رحلاته وحج معه سائر حجاته ولم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً وتزوج بنته خديجة ورزق منها عدة اولاد وبه تخرج في الحديث وكتب عنه جميع مجالس املائه الخ قال السخاوي وهو الذي دربه في افراد زوائد كتب الحديث كالمعاجم الثلاثة للطبراني والمسانيد لاحمد واعانه بكتبه ثم بالمرور عليها وتحريرها وعمل خطبها هـ واذا اردنا ذكر اعلام تلامذته سودنا صحائف فلنكتف بالثلاثة اقطاب الحديث في القرن التاسع .

(وظائفه واحياؤه لدروس الاملاء) ولي الخطابة والتدريس والوعظ والامامة وفي سنة ٧٨٨ ولى خطة القضاء بالمدينة المنورة فقام باعباء وظيفته ثلاث سنوات وكان اماماً بالمدينة المشرفة قال تلميذه الحافظ ابن حجر شرع في املاء الحديث من سنة ٧٩٦ فاحيا الله به السنة بعد ان كانت دائرة فاملى اكثر من اربعمائة مجلس غالبها من حفظه متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية هـ وقال السيوطي في التدريب كان الاملاء درس بعد موت ابن الصلاح الى اواخر ايام الحافظ العراقي فافتتحه سنة ٧٩٦ هـ ولهذا سمي بمجدد المائة الثامنة فاملى بعدة اماكن بالمدينة المنورة املى بها الاربعين العشارية بين القبر والمنبر وقال ابن فهد شرع في الاملاء من سنة ٧٩٥ الى ان مات فاملى اولاً اشياء مفرقة ثم املى على الاربعين النووية ثم املى على أمالي الرافعي ثم شرع يملي من تخريج

المستدرك فكتب منه الى اثناء كتاب الصلاة قريباً من مجلد في ٣٠١ مجلس وذلك من اول ١١٦ مجلس الى آخر ٤١٦ لكن المجلس الثامن بعد الاربعمائة املاه فيما يتعلق بغلاء السعر وغيره وذلك في شهر ربيع الاخير سنة ٨٠٥ والثالث عشر بعد الاربعمائة املاه فيما يتعلق بطول العمر وختمه بقصيدة تزيد على عشرين بيتاً منها .

بلغت في ذا اليوم سن الهرم   تهدم العمر كسيل العرم

والرابع عشر والخامس عشر أملاهما من الاحاديث التي خرجها له الحافظ أبو الفضل بن حجر من مسموعاته صلة الاربعين العراقية والسادس عشر أملاه فيما يتعلق بالاستسقاء ختمه بقصيدة أولها :

أقول لمن يشكو توقف نيلنا   سل الله يمدده بفضل وتاييد

وفي اثناء ذلك استسقى به أهل مصر فخطب فيهم خطبة بليغة ضمنها أحاديث المجلس المذكور وغيرها فرأوا البركة من تراجع الاشياء بعد اشتدادها ولم تطل حياته بعد ذلك .

(**مؤلفاته**) نبدأ اولاً بما طبع منها :

١) الفية مصطلح الحديث طبعت مجردة بالرباط (المغرب الاقصى) وطبعت بالهند مطبعة حجرية مع تعاليق من شرح المصنف وشرح الشيخ زكرياء والامام السخاوي وقول صاحب معجم المطبوعات ان شرح المصنف طبع بهامش فتح المغيث بشرح الفية مصطلح الحديث للسخاوي هو في عهدته لان الذي نجزم به ان شرح المصنف لم يطبع قط لا وحده ولا مع غيره .

٢) الفية غريب القرآن لم تطبع والتي طبعت بهامش التيسير في علوم التفسير هي لولده أبي زرعة العراقي وقد ذكرها للمترجم جل من ترجم له

وكفى بابن حجر حجة وقد غلط فيه صاحب معجم المطبوعات أيضاً .

٣) تقريب الاسانيد وترتيب المسانيد في الاحكام ثم اختصره في نحو تصف حجمه وشرح بعضه وأكمل ولده الباقي .

٤) القرب في محبة العرب في علم الحديث طبع بالهند وهو صغير الحجم جداً صحفه ١٦ .

٥) المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار طبع بهامش احياء العلوم للغزالي وقد ضمن الشيخ مرتضى في شرحه للاحياء المسمى بالاتحاف جميع هذا الكتاب مع المحافظة على نسبة الفائدة لمفيدها .

٦) الدرر السنية في نظم السير الزكية وهي المعروفة بالفية السير طبعت برباط الفتح (المغرب الاقصى) .

٧) التقييد والايضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح طبع بحلب بعناية الشيخ راغب الطباخ الحلبي سنة ١٣٥٠ .

٨) الكلام على الاحاديث التي تكلم فيها بالوضع وهي في مسند الامام احمد بن حنبل. أما مؤلفاته التي لم تطبع فهي :

أما مؤلفاته التي لم تطبع فهي :

١) نظم منهاج البيضاوي المسمى النجم الوهاج في نظم المنهاج في ١٣٦٧ بيتاً وله عليه تقييد وصل فيه لباب الناسخ والمنسوخ وقد شرح هذا النظم كاملاً ابنه أبو زرعة ولي الدين العراقي .

٢) نظم الاقتراح لابن دقيق العيد في ٤٢٧ بيتا .

٣) الاحاديث المخرجة في الصحيحين التي تكلم فيها بضعف أو انقطاع .

٤) قرة العين بوفاء الدين .

٥) الاستعاذة بالواحد من اقامة جمعتين في مكان واحد .

٦) تخريج احاديث منهاج البيضاوي .

٧) معجم مشتمل على تراجم جماعة من أهل القرن الثامن وقد اطلعت على نسخة منه بالمكتبة الكتانية .

٨) ترتيب من له ذكر أو تخريج أو تعديل في بيان الوهم والايهام لابن القطان .

٩) تكملة شرح جامع الترمذي لم تكمل ويوجد منه مجلد واحد في خزانة مكناس .

١٠) اربعون تساعية .

١١) اربعون بلدانية لم تكمل .

١٢) اربعون عشارية وقد اطلعت على نسخة منه بالخزانة الكتانية .

وله كتب صغيرة الحجم متعلقة بموضوعات خاصة حديثية وغيرها منها مجموع به احياء القلب الميت باحكام دخول البيت - الرد على القصاص - جواب له في الرد على من انتقد أبياتاً للصرصري في المدح النبوي وهو تأليف يكتب بسواد العيون - تأليف في هل يوزن في الميزان اعمال الاولياء والانبياء أم لا - اسماء الله الحسنى اطلعت عليه في المكتبة الكتانية تحت عدد ٣٨٥٤ .

توفي رحمة الله عليه في ثاني شعبان سنة ٨٠٦ وله احدى وثمانون سنة عقب خروجه من الحمام وعن هذا السن توفي الشيخ سراج الدين البلقيني فعجب الحافظ ابن حجر من توافق اعمارهما وشهر موتهما وفي ذلك يقول :

لا ينقضي عجبي من وفق عمرهما　　　العام كالعام حتى الشهر كالشهر

عاشا ثمانين عاما بعدها سنة　　وربع عام سوى نقص لمعتبر

ورثاه جماعة من تلامذته نقتصر منها على مرثية الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر قال :

مصاب لم ينفس للخناق　　اصاد الدمع جار للمآقي
فروض العلم بعد الزهو زاو　　وروح الفضل قد بلغ التراقي
وبحر الدمع يجري باندلاق　　وبدر الصبر يسري في المحاق
وللاحزان بالقلب اجتماع　　ينادي الصبر حي على افتراق
فاما بعد يأس من تلاق　　فهذا صبره مر المذاق
لقد عظمت مصيبتنا وجاءت　　تسوق اولي العلم الى السباق
واشراط القيامة قد تبدت　　وآذن بالنوى داعي الفراق
وكان بمصر والبيت البقايا　　وكانوا بالفضائل في استباق
فلم تبق الملاحم والرزايا　　بارض الشام للفضلاء باق
وطاف بارض مصر كل علم　　بكأس الحين للعلماء ساق
فاطفأت المنون سراج علم　　ونور لاح لا داعي النفاق
واخلفت الرجافي ابن الحسين الـ　　امام فالحقته بالسباق
فيا أهل الشام ومصر فابكوا　　على عبد الرحيم بن العراقي
على الحبر الذي شهدت قروم　　له بالانفراد على اتفاق
ومن فتحت له قدماً علوم　　غدت عن غيره ذات انفلاق

وقد أطال الحافظ في هذه المرثية يبكي شيخه ويأسف على فراقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم .

ترجمة شيخ الاسلام زكرياء الانصاري

﴿ صاحب فتح الباقي على الفية العراقي ﴾

هو أبو يحيى زين الدين قاضي القضاة زكرياء بن محمد بن احمد بن زكرياء الانصاري الخزرجي السنكي ثم القاهري الازهري الشافعي منسوباً الى سنيكة مسقط رأسه من اعمال الشرقية بمصر والنسبة اليها فعلى بحذف الياء لقول ابن مالك .

وفعلى في فعيلة التزم   وفعلى في فعيلة حتم

ولم نقف على سماع بخلافه وذكر صاحب النور والحافظ السخاوي انه ولد سنة ٨٢٦ ومنهم من قال انه ولد سنة ٨٢٥ وانتقل للقاهرة سنة ٨٤١ فنسب اليها لاستقراره بها ثم انقطع في جامع الازهر المزدهر بالدراسة العلمية فنسب اليه فقيل ازهري .

(**نشأته وطلبه للعلم**) اشتغل الشيخ زكريا في مسقط رأسه بحفظ كتاب الله العزيز فحفظه وحفظ عمدة الاحكام وبعض مختصر التبريزي ثم تحول الى القاهرة سنة ٨٤١ فقطن في جامع الازهر وكان فقيراً مملقاً كما حكى عن نفسه حسبما نقله عنه تلميذه الملازم له العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني في الطبقات قال وحكى لي يوماً أمره من حين جاء الى مصر الى وقت تلك الحكاية وقال لي أحكي لك امري من ابتدائه الى انتهائه الى وقتنا هذا حتى تحيط به علماً كأنك عاشرتني من أول عمري فقلت نعم فقال جئت من البلاد وأنا شاب فلم اعكف على أحد من الخلق ولم أعلق قلبي به وكنت أجوع في الجامع كثيراً فاخرج بالليل الى قشر البطيخ الذي كان بجانب الميضأة وغيرها فأغسله وآكله الى ان قيض الله لي شخصاً كان يشتغل في الطواحين فصار يتفقدني ويشتري لي ما احتاج اليه من الكتب والكسوة ويقول لي يا زكرياء لا تسأل احداً في شيء وما تطلبه جئتك به فلم يزل كذلك سنين عديدة فلما كان ليلة من الليالي والناس

قيام جاءني وقال لي قم فقمت فاوقفني على سلم الوقاد وقال اصعد هذا فصعدت فقال لي اصعد الى آخره فقال لي تعيش حتى يموت جميع اقرانك وترتفع على كل من في مصر من العلماء وتصير طلبتك شيوخ الاسلام في حياتك حين يكف بصرك فقلت ولا بد لي من العمى فقال ولا بد لك ثم انقطع عني ولم أره من ذلك الوقت ثم تزايد علي الحال الخ كلامه ولما حل بالازهر اشتغل بحفظ الامهات فكمل حفظ المختصر ثم حفظ المنهاج الفرعي والالفية النحوية والشاطبية وبعض المنهاج الاصلي ونحو النصف من الفية الحديث ومن التسهيل الى باب كاد وأقام بالقاهرة ثم رجع الى بلده وداوم الاشتغال بالعلم مجداً فيه ثم رجع للقاهرة لطلبه .

(**مشيخته**) أخذ عن جماعة من أساطين عصره منهم الامام القاياتي والعلم البلقيني والحافظ ابن حجر العسقلاني وابن الهمام المترجم لهم في خطبة الشرح والشرف السبكي والشمس الوفاءي والشمس الحجازي والشمس البدرشي والشهاب ابن المجدي والبدر النسابة والزين البوشنجي والزين رضوان وحضر دروس الشرف المناوي وأخذ عن الكافيجي ومن لا يحصى كثرة واذن له غير واحد من شيوخه في الافتاء والاقراء منهم شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ولم تكن قراءاته قاصرة على جامع الازهر بل قرأ في نواحي القاهرة .

(معارفه) لم يكن شيخ الاسلام متخصصاً في علم من العلوم بل كان رئيساً في كل فن آخذاً بزمام سائر العلوم التي القت اليه قيادها وكان بحراً زاخراً متدفقة امواج علومه تفسيراً وحديثاً وفقهاً واصولاً ولغة ومعاني وبياناً وبديعاً ومنطقاً وقراءة وهندسة وهيئة وحكماً وطباً وميقاتاً وفرائض وحساباً وجبراً ومقابلة وعروضاً وصرفاً وتصوفاً بل كان له الباع الطويل والقدم الراسخ في علم التصوف وكان امر من بعض العلماء بالاشتغال بعلوم الظاهر ففعل بل تستر عن الناس بذلك فلم يثبت انه سلك احداً من الناس أو اشتغل بالتربية بل جل اوقاته مصروفة لعلوم الظاهر .

(تدريسه) تصدى للتدريس في حياة شيوخه وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة وولي تدريس عدة مدارس ولم يزل ملازماً للتدريس والافتاء والتصنيف وانتفع به خلائق لا يحصون منهم ابن حجر الهيثمي قال في معجم مشايخه وقدمت شيخنا زكرياء لانه أجل من وقع عليه بصري من العلماء العاملين والايمة الوارثين واعلى من عنه رويت ودريت من الفقهاء الحكماء المهندسين فهو عمدة العلماء الاعلام وحجة الله على الانام حامل لواء المذهب الشافعي على كاهله ومحرر مشكلاته وكاشف عويصاته في بكره واصائله ملحق الاحفاد بالاجداد المتفرد في زمانه بعلو الاسناد كيف ولم يوجد في عصره الا من اخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة بل وقع لبعضهم انه اخذ عنه مشافهة تارة وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة اخرى وهذا لا نظير له في احد من اهل عصره فنعم هذا التمييز الذي هو عند الايمة اولى به واحرى لانه حاز سعة التلامذة والاتباع وكثرة الآخذين عنه ودوام الانتفاع الخ وقال ان روايته احسن من بديهته وكتابته أمتن من عبارته وله فهرس جامع في نحو الخمسة كراريس خرجه له الحافظ السخاوي افتتحه بحديث الاولية ثم باسناد كتب الحديث ثم سائر العلوم وطريق القوم وختمه باسماء جماعة ممن أجازه رتبهم على حروف المعجم منهم أبو الفتح المراغي وأبو الفضل النويري والكمال بن الهمام وابن الفضل المرشدي ومحمد بن محمد الكازروني والمحب محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطبري وأبو اليمن النويري وأبو السعادات بن ظهيرة والتقي محمد بن محمد بن محمد بن مهدي ومحمد بن محمد بن الكمال البارزي وابن الشحنة الحلبي ومسند الدنيا محمد بن مقبل الحلبي واحمد بن البرهان الحلبي وغيرهم ونحو العشرين امرأة تولى التدريس بعدة مدارس وقصد بالفتاوى وزاحم كثيراً من شيوخه فيها الى ان ولي منصب قضاء القضاة بعد امتناع كثير وذلك في رجب سنة ٨٨٦ قال حاكياً عن نفسه حسبما نقله عنه تلميذه الامام الشعراني وذلك الى ان عزم علي السلطان بالقضاء فابيت وقال ان أردت نزلت ماشياً بين يديك

اقـود بغلتـك الى ان اوصـلك الى بيتـك فتـوليت وأعانـني الله على القيام به هـ وحينئذ تولى منصب الخطابة وكان يخطب بالمسجد الذي يصلى به السلطان الاشرف قايتباي وكان يصارحه في خطبه بالامر بالمعروف والنهـي عن المنـكر وربما يقصده بالكلام حتى يظن انه يقاطعه فاذا فرغ من الصـلاة يتقـدم اليه السلطان ويتلقاه باحسن قبول ويقبـل يديه ويقـول له جزاك الله خـيراً وكان السلطان شديد التأدب مع شيخ الاسلام لم يثبت عليه انه واجهه بما يكره الى ان فعل الوشاة فعلتهم فاخر عن قضاء القضاة بعد ان قضى في وظيفـة نحـو العشرين سنة وتولى بعد ذلك التدريس بمدرسة الجمالية ودرس في القاهرة نحو ٨٠ سنة .

(**اخلاقه وعبادته**) كان رحمه الله مثالاً للاخلاق متواضعاً حسن العشرة والادب والعفة والانجماع عن ابنـاء الـدنيا مع التقلل وشرف النفس ومـزيد العقل وسعة الباطن والاحتمال والمداراة وكيف لا يكون كذلك وقد جمع الله له بين علم الاخلاق وفلسفتها وبـين علـم الظاهـر ولا زال يترقـى في مقامـات العارفين الى ان وصل لدرجة اليقين قال الامام الشعراني وكان رضي الله عنه مع كبر سنه يصلي سنن الفرائض قائماً ويقول لا أعود نفسي الكسل وكان لا يأكل الا من خبز الخانقاه وقف سعيد السعداء ويقول واقفها كان من الملوك الصالحين واوقف وقفها باذن النبي صلى الله عليه وسلم وقال حاكياً عن نفسه من صغري وأنا احب طريق القوم وكان اكثر اشتغالي بمطالعة كتبهم والنظر في احوالهم حتى كان الناس يقولون هذا لا يجيء منه شيء في علم الشرع وكنت مجاب الدعوة لا ادعو على احد الا ويستجاب فيه الدعاء فأشار على بعض الاولياء بالتستر بالفقه الى آخر كلامه وكان رحمه الله مهابـاً لدى اصحابه جداً حتى انهم لا يتهجمون عليه بالسؤال من هيبته لجلالة قدره وكان كثير الصدقة السرية لان الاسرار بها مظنة الاخلاص الذي هو روح الاعمال وقد ذكر الامام الشعراني في ترجمته عدة مناقب فلينظرها من شاء .

(**مؤلفاته**) تآليف شيخ الاسلام كثيرة جداً في فنـون عديدة تناولـت جـلهـايد الطباعة جانحة نحو الافادة والاختصار كان واضعاً وضعها للدراسة فالمطبوع منها :

١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب في فقه الامام الشافعي .

٢) الاضواء البهجة في ابراز دقائق المنفرجة . قصيدة .

٣) تحرير تنقيح اللباب وشرحه عليه المسمى تحفة الطلاب .

٤) تحفة الباري على صحيح البخاري .

٥) تعريف الالفاظ الاصطلاحية في العلوم .

٦) حاشية على التلويح في علم الاصول .

٧) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لابن الجزري في علم التجويد .

٨) شرح ايساغوجي في علم المنطق .

٩) شرح الشافية لابن الحاجب في علم التصريف .

١٠) شرح الرسالـة القشـيرية مطبـوع بحـاشية العـروسي في اربعـة اجزاء .

١١) غاية الوصول شرح لب الاصول .

١٢) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية وهو الشرح الكبير في فقه الشافعي .

١٣) فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية .

١٤) فتح الرحمن شرح ما يلتبس في القرآن .

١٥) فتـح الرحمن بشرح رسالة الولي رسلان في علم التوحيد .

١٦) فتح الرحمن على متن لقطة العجلان .

١٧) فتح الوهاب بشرح منهاج الطلاب .

١٨) فتوح منزل المباني بشرح اقصى الاماني في علوم البلاغة .

١٩) اللؤلؤ النظيم في روح التعلم والتعليم في حدود العلوم واصنافها .

٢٠) المقصد لتلخيص المرشد في الوقف والابتداء .

٢١) الملخص من تلخيص المفتاح في علوم البلاغة .

٢٢) منهاج الطلاب فقه الشافعي .

٢٣) فتح الباقي شرح الفية العراقي الذي يطبع الآن .

(**ومما لم يطبع منها**) :

١) حاشية على تفسير الامام البيضاوي قد شرع في طبعه بمصر .

٢) شرح آداب البحث والمناظرة .

٣) حاشية على جمع الجوامع واني على نية طبعها .

٤) كتاب الاعلام باحاديث الاحكام .

٥) شرح على البردة .

(**نكبته**) في سنة ٩٠٦ أصيب في حبيبتيه عينيه ففقد بصره وعمي قال في الشذرات وكان ذلك سبب عزله واستمر قاضياً مدة ولاية الملك الاشرف قايتباي ثم بعد ذلك الى ان كف بصره فعزل بالعمى ا هـ قلت وعزل القاضي بسبب العمى واجب شرعاً قال الامام خليل مختصر أحكام المالكية ونفذ حكم اعمى وابكم واصم ووجب عزله هـ وكذلك في بقية دواوين المذاهب في مشهورها وما قاله بعض اصحاب الامام الشافعي من جواز كون القاضي اعمى قياساً على

سيدنا شعيب عليه السلام ضعيف لعدم ثبوت العمى في المقيس عليه قاله في المغني والشرح الكبير وما قاله في الشذرات أشبه بالصواب مما قاله الشعراني فانه تولى القضاء سنة ٨٨٦ وبقي به عشرين سنة وعمي سنة ٩٠٦ فتكون هي سنة العزل وبقي يدرس وهو اعمى عشرين سنة .

(وفاته) توفي رحمه الله يوم الجمعة رابع ذي الحجة بالقاهرة سنة **٩٢٥** وجزم صاحب الكوكب والشعراني وابن فهد بانه توفي في سنة **٩٢٦** وبالاول قال جماعة الا انهم بينوا اليوم والشهر وهو شهر ذي الحجة آخر السنة ومن ذكره في سنة **٩٢٦** ايهم اليوم والشهر والعلم لله وحزن الناس عليه حزناً شديداً .

ولما مات هيئوا له قبراً في باب النصر وبينما الناس في تجهيزه واذا برسول الامير خير بك نائب السلطنة بمصر يقول ملك الامراء ضعيف لا يستطيع الركوب الى ها هنا وامر ان تركبوا الشيخ على تابوت وتحملوه الى الامير ليصلي عليه في سبيل المؤمنين بالرميلة فحملوه وصلوا عليه فقال ادفنوه بالقرافة فدفنوه عند الشيخ نجم الدين الخيوشاتي تجاه وجه الامام الشافعي رضي الله عنهم ورثاه تلميذه زين الدين عبد اللطيف الديري الازهري بقوله :

قضى زكريا نحبه فتفجرت ... عليه عيون النيل يوم حمامه
لتعلم ان الدهر راح امامه ... وما الدهر يبقى بعد فقد امامه
سقى الله قبراً ضمه غيث صيب ... عليه مدى الايام صبح غمامه

الفية العراقي الاصطلاحية

نظم فيها مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث وزاد عليها زيادات كثيرة ميزها بامور كتصديرها بقلت أو ككونها تعقب لكلام ابن الصلاح أو غير ذلك وقد أشار الى ذلك كله بقوله في خطبتها .

لخصت فيها ابن الصلاح أجمعه وزدتها علما تراه موضعه

وبين اصطلاحه فيها بقوله :

فحيث جاء الفصل والضمير لواحد ومن له مستور

وقد جمعت علوماً كثيرة كاصلها مما أفردت بالتأليف كرواية الاكابر عن الاصاغر ورواية الاقران ورواية الاخوة والاخوات فقد صنف في الانواع المذكورة علي بن المديني ومسلم بن الحجاج وأبو داود والنسائي وغيرهم وكمعرفة رواية الآباء عن الابناء ومعرفة السابق واللاحق فقد صنف فيهما الخطيب البغدادي والمتفق والمفترق وللخطيب فيه كتاب نفيس أما التآليف في تواريخ الرواة فكثيرة جداً ومجموعها ضمنه الحافظ العراقي في هذه الالفية فكل الصيد في جوف الفرا .

فرغ منها مؤلفها بطيبة في جمادى الاخيرة سنة ٧٦٨ ثم شرحها شرحين كبيراً ولم يكمله وصغيراً اكمله وهو الذي يطبع الآن ولخص هذا الشرح الشريف محمد امين يادشاه البخاري نزيل مكة المكرمة وعلى هذا التلخيص حاشيتان الاولى للشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي والثانية للشيخ برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي سماه النكث الوفية بما في شرح الالفية اورد فيه ما استفاده من شيخه ابن حجر ومن شروحها المشهورة شرح القاضي زكرياء بن محمد الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ وهو شرح مختصر ممزوج بالمتن سماه فتح الباقي بشرح الفية العراقي فرغ منه في رجب سنة ٨٩٦ وعلى هذا الشرح حاشية مطولة للشيخ العدوي الصعيدي محشى الخرشي جلها ابحاث لفظية ومنطقية

اطلعت عليها بخزانة شيخنا العلامة المحدث الشيخ الكتاني أتمها مؤلفها سنة ١١٦٧ .

وقد اتهمه الحافظ السخاوي بانه استمد من شرحيه عليها وهي تهمة لا يقوم عليها دليل لما علم من مقام الشيخ زكرياء في العلم وخضوع العالي والنازل له وكثرة كتبه تبين علمه فكيف تشرئب نفسه الى عمل طفيف مثل هذا وينسبه لنفسه وهو لغيره اذ التهمة لا تتوجه الا على من يليق به ذلك والا كانت من المهالك وشرحها ايضاً الشيخ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ شرحاً وجيزاً للغاية وشرحها الشيخ ابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٥٥ وشرحها ايضاً زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي بكر العيني المتوفى سنة ٨٩٣ وشرحها أبو الفداء إسماعيل بن ابراهيم بن جماعة الكناني المتوفى سنة ٨٦١ وشرحها ايضاً قطب الدين محمد بن محمد الحيضري الدمشقي المتوفى سنة ٨٩٤ سماه صعود المراقي الى الفية العراقي وشرحها ايضاً شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي شرحاً حافلاً طبع بالهند وهو المسمى بفتح المغيث في شرح الفية الحديث وقد وقفت عليه وقد غلط هنا صاحب معجم المطبوعات فانظره .

واختصرها أبو عبد الله سيدي محمد بن حمدون بن الحاج الفاسي نظما المتوفى سنة ١٢٨٤ وهو والد محشى المكودي .

ولا شك ان اهمية هذه الالفية تتجلى بوضح دليل حيث تناولها هؤلاء الفحول بالشرح والتعليق والثناء عليها وعلى مؤلفها الجليل ومثل هذا الكتاب لا ينبغي اهماله .

﴿ المصادر ﴾ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ تاريخ ابن عساكر ـ الضوء اللامع ـ ذيول طبقات الحفظ ـ فهرس الفهارس ـ كشف الظنون ـ الطبقات الكبرى ـ معجم المطبوعات .

الاصول المطبوع عليها

أما شرح الحافظ العراقي لالفيته فقد عثرت منه على عدة نسخ اهمها النسخ التي استعرناها من مكتبة شيخنا الحافظ الحجة البحاثة المؤرخ النسابة الشيخ سيدي عبد الحي الادريسي الكتاني .

وقد كان الشيخ المذكور أول من أشار علينا بفكرة ضم شرح المؤلف لشرح الشيخ زكرياء الانصاري في الطبع ونعما هي ولقد وقعت مني هذه الفكرة موقع الاستحسان لان الفائدة به أتم والنفع به اعم لسهولة عباراته وسلاسة معانيه ولكونه من اعظم المراجع لشرح الشيخ زكرياء ولان شرح الانسان كلامه بنفسه اولى اذ رب الدار بما فيها ادرى وها نحن نصف الاصول التي احرزنا عليها من الخزانة المذكورة .

١) الاصل الذي قرىءعلى المؤلف وعليه خطه عدد ٤١٨١ مكتوب بخط شرقي بين كما يشاهد على الصورة رقم (١) الا انه كثير ترك النقط مبثور الاول بنحو الورقتين يبتدىء بقول المصنف نظمتها تذكرة للمبتدىء الى آخر الالفية وبآخره ما نصه وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة يوم الخميس المبارك سابع عشر شهر رمضان المعظم عام تسع وتسعين وسبعمائة غفر الله لكاتبه ولولديه ولمن كان السبب في كتابتها ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عنه الغافلون وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين وشيت طررها وحليت بسماعات عليها بخط مؤلفها الحافظ ونص ذلك في محلات متعددة بلغ الشيخ نور الدين التلواني نفع الله به قراءات بحث على كتبه مؤلفه وعليها طرر مكتوبة بالصمغ منقولة من التدريب شرح التقريب للعلامة السيوطي وغيره وتوقيفات وبعض طرر بخط الشيخ الكتاني أما التلواني المذكور فقد عرف به الحافظ ابن حجر في انباء الغمر وابن العماد في الشذرات قال وفيها (يعني سنة ٨٤٤) نور الدين

ابو الحسن علي بن عمر بن حسن بن حسين بن علي بن صالح التلواني الشافعي اصله من المغرب وسكن والده بحروان قرية بالمنوفية من اعمال القاهرة سكن تلوانة فعرف بالتلواني اشتغل بالعلم وأكب عليه ولازم عدة من الشيوخ وأجازه البلقيني بالفتوى والتدريس وتصدر لهما وانتفع به جماعة وحضر دروسه غالب علماء عصره وتولى عدة وظائف دينية والتدريس في مدارس عديدة منها تدريس قبة الشافعي الى ان توفي هـ وعلى ظهر النسخة تحت يد شيخنا العلامة صالح بن محمد الفلاني العمري وبعده بخط الشيخ الكتاني ثم هو الآن في ملك خادم نعال المحدثين محمد عبد الحي الكتاني تملكاً تاماً بالمدينة المشرفة زيدت شرفاً ومجداً آمين وكتب بفاس عام ١٣٢٥ .

مسطرتها من خمسة وعشرين سطراً عدد أوراقها ١٥٨ طول الورقة ٢٧ سنتيمتراً في ١٨ عرضاً وبها اصلاح خفيف في اولها مكتوبة بمداد أسود في كاغد متين صقيل للغاية .

ولا شك ان مثل هاته النسخة يتعين الاعتماد عليها لقراءتها على المؤلف ولخطه عليها ولم اتجرع بسببها صعوبة كثيرة سوى اني ارجع دائماً للاصول لاعتمد نسخة المؤلف سيما حيث يلتبس المعنى بكثرة اهمال الحروف المعجمة ومع ذا وذاك فهي العمدة في هذه الطبعة ولا أظن وجود مثلها في غضون الخزائن والعلم لله اذ هي في نفسها ذخيرة عظيمة ودونك صورة الورقة الاخيرة منها .

آخر ورقة من شرح المصنف لالفيته من النسخة التي نسخت قيد حياته وقرأت عليه وعليها خط يمينه في عدة مواضع .

الاصل الثاني تحت عدد ٨٢٢ مكتوب بخط مغربي عام ١١٧٨ وفي آخرها الحمد لله وجدت بالاصل المنتسخ منه ما نصه انتهت مقابلته على قدر الاستطاعة بالاصل المنتسخ منه الذي هو بخط سيدي الحسن الزياتي رحمه الله تعالى ورضي عنه ثم ما كتب بالهامش فهو من خطه فصح جميع ذلك بصحة الاصل اوائل ذي القعدة من سنة ١٠٩٥ عرفنا الله خيرها منسوخة في كاغد شطبي به اثر تنقيع مبتورة من الاول الى الصحيح الزائد على الصحيحين وعليها طرر كثيرة بعضها منقول عن شيخ الاعصار والامصار الشيخ القصار المغربي الفاسي وهي نسخة جيدة قرىء بها الا ان بها نقصاً عن النسخة التي عليها خط المؤلف الحق في الغالب بطرتها وهي في قالب كبير طوله ٣٠ سنتيمتراً في ٢٠ عرضاً مسطرتها من ٣٠ سطراً اوراقها ٩٠ .

الاصل الثالث تحت عدد ٨٢٣ مكتوب بخط مغربي مناسب في كاغد شطبي بآخره انتهى بحمد الله وحسن عونه الجميل على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده عمر بن علي العشاب المصوري داراً ومنشئاً ظهيرة يوم الاثنين الاول من ربيع الثاني عام ١١٣٦و وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وهي نسخة تامة جيدة عليها طرر يسيرة وبها بعض اصلاحات تقع في جزء وسط في قالب كبير طولها ٣٠ سنتيمتراً في ١٠ عرضاً مسطرتها من ٣٥ سطراً اوراقها ٩١ .

الاصل الرابع تحت عدد ١١٧ أعارتنا المكتبة الزيدانية بمكناسة الزيتون لصاحبها المؤرخ الشهير المطلع الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان العلوي النصف الاول من شرح المؤلف على الفيته وهو حديث النسخ في قالب رباعي فكانت معينة لنا فيما تحملناه من الاتعاب للوصول للمقصد الاهم لان كثرة النسخ لها فائدة واي فائدة واقل فوائدها حصول الاطمئنان عند التوافق فنرفع لكل من أعارنا كتاباً في الموضوع خالص ثنائنا مصحوباً بتحية مباركة طيبة فانفاق العلم بجميع الوسائل يكسب الزيادة وللذين احسنوا الحسنى وزيادة

خصوصاً للشيخ الكتاني الذي جعل مكتبته رهن احتياجنا فنعم المكاتب للمصالح العامة .

الاصل الخامس عثر عليه الشيخ الكتاني أثناء جولته الاخيرة بالمغرب الاقصى على نسخة عتيقة من شرح المصنف على الفيته وعليها طرر قيمة لبعض الحفاظ المغاربة فاقتناها لخزانته وأعارها لنا لنستعين بها على التصحيح فشكراً له ثم شكراً .

أصول فتح الباقي

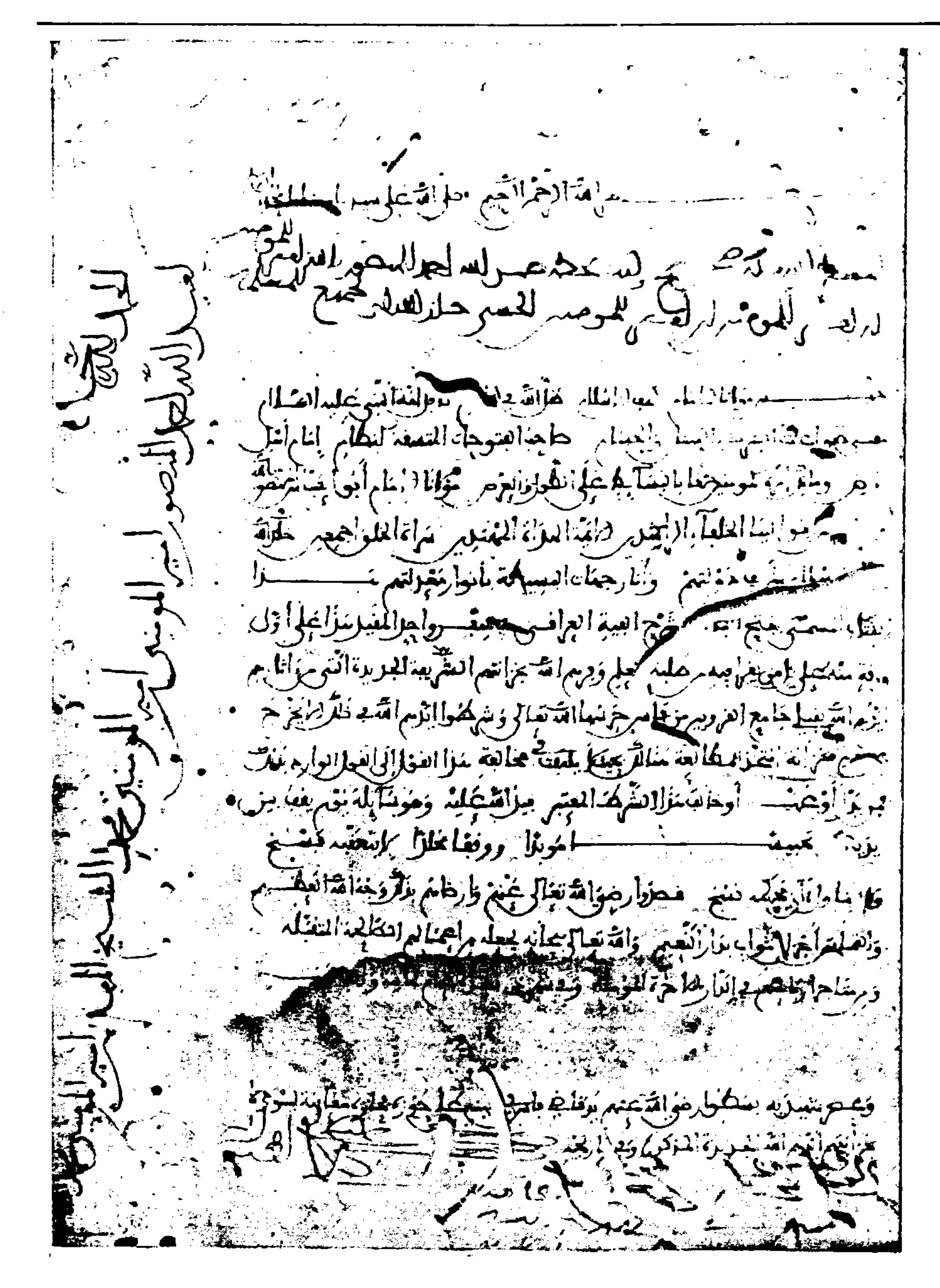
الاصل المغربي من خزانة القرويين العامرة تحت عدد ح ل ٤٠ - ٧٣٨ .

نسخ بالمغرب بخط اندلسي جيد مكتوب شارحه بالسواك ومصنفه بالاحمر في كاغد شطبي منين عليه طرر يسيرة وبعض اصلاحات وقد أصاب هذه النسخة خرق السوق بسبب الاهمال بآخره كمل الكتاب المبارك على يد عبيد ربه واسير ذنبه خديم الابواب الهاشمية المنصورية الحسنية خلد الله مفاخرها وأبقى على المعالي مآثرها سالم بن احمد الزمراني عامله الله بفضله وكان الفراغ منه ظهر يوم الاحد عاشر جمادي الثانية عام ٩٩٠ عرفنا الله خيره ودونك صورة الورقة الاخيرة منه .

آخر صحيفة من نسخة شرح الشيخ زكرياء الانصاري التي حبسها المنصور الذهبي المنسوخة سنة ٩٩٠

(خـ:انة القـ و يين) .

وهذه النسخة كانت تحت ملك السلطان الافخم المولى احمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي فاتح تنبكتو وكان له اعتناء زائد بالكتب ومحبة عظيمة في المعاهد العمومية وهو الذي حبس هذه النسخة على خزانة كلية القرويين التي اسسها وراء محرابها في عدة وافرة من الكتب القيمة التي لا زال بعضها بالخزانة المذكورة ومن تمام اعتنائه بهذا المشروع العظيم انه بعدما يكتب التحبيس بشهادة عدلين عليه يصححه بخط يده كما يتبين من الصورة الآتية وهي صورة أول ورقة من الاصل المطبوع عليه .



الصحيفة الاولى من شرح الشيخ زكرياء الانصاري ويشاهد باعلى الصحيفة خط يمين السلطان المنصور الذهبي السعدي مصححا للتحبيس المكتوب اسفله وفي اليمين خط يد المنصور الذهبي ايضاً كاتبا على نسخته لعبد الله احمد المنصور الخ (خزانة القرويين) .

الاصل الشرقي من خزانة كلية القرويين ايضاً تحت عدد ح ل ٨٠ ـ ١٧٦ مكتوب بخط شرقي بين في كاغد متين شارحه بالاسود ومشروحه بالاحمر في قالب صغير طوله ١٨ سنتيمتراً في ١٤ عرضاً مسطرته من ٢١ سطراً اوراقه ١٣٠ آخره ما نصه ووافق الفراغ من هذه النسخة يوم الاربعاء افتتاح شهر رمضان سنة ١٠٣٠ والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين وهي نسخة قرىء بها مراراً وعليها عدة اصلاحات بخط مغربي كانت بسببه اصح النسخ التي طبعنا عليها وهي في غاية الحفظ كانت في ملك السلطان العادل الولي الصالح ابي الربيع مولانا سليمان ولما أتم بناء جامع الرصيف بنى به خزانة أودع بها كتباً علمية قيمة لعموم الطلبة وكتب تحبيسه ايضاً على كل كتاب وآل امر هذه الخزانة الى الاندثار بسبب ذلك نقل الباقي من كتبها لخزانة القرويين حيث ان العناية المولوية المحمدية أدام الله مجدها صرفت لنظامها طبق انظمة الخزائن العالمية جزى الله المحسنين خيراً .

حرر بمدينة فاس بتاريخ ٢٠ رجب الفرد سنة ١٣٥٤

محمد بن الحسين العراقي الحسيني مدرس بكلية القرويين

وأمين مكتبتها